

### ANALYTICAL STUDY OF UNIVERSALITY OF QURANIC DISCOURSE IN SURAT AL- MA'IDAH

#### دراسة تحليلية في عالمية الخطاب القرآني في سورة المائدة

Ruqaia Taha Alalwani<sup>i</sup>

<sup>i</sup> (Corresponding author). Professor, University of Bahrain. drruqaia@yahoo.com

<b>Abstract</b>	<p><i>This paper examines some aspects that illustrate the universality of the Qur'an's discourse, which has been confirmed by many explicit Qur'anic verses, both directly and indirectly. The message of the Qur'an is not exclusive to a particular society. It is directed to all people, regardless of their race or color. The paper presents the universal teachings in surat al-Maiedah, which is one of the latest chapters revealed to the prophet (PBUH). The significance of this comes from the fact that many scholars focus on the Meccan surahs when they address the universality of the Quran, more than the surahs revealed in Madina. However, the study showed that Surat al-Ma'idah, which dealt with rulings about Halal and Haram, came with universal purposes of preserving human dignity. The study employed the analytical inductive approach with examples presented from Surat al-Ma'idah. The study emphasizes the need to focus on highlighting aspects of the universality of Qur'anic message, especially in Surahs revealed in Madina.</i></p> <p><b>Keywords:</b> <i>Universality, Qur'an, Discourse, Islamic, Teachings.</i></p>
-----------------	---

<b>ملخص البحث</b>	<p>تتناول هذه الورقة بعض الجوانب التي توضح عالمية الخطاب القرآني الكريم، التي أكدتها العديد من الآيات القرآنية الصريحة، سواء ما جاء من خلال نداءات صريحة ووجهت للناس أو ما جاء بشكل غير مباشر. فرسالة القرآن لا ينفرد بها مجتمع بعينه، بل هي رسالة تخص الناس على اختلاف أعراقهم وألوانهم. وتعرض الورقة عالمية بعض التشريعات والتعاليم والآداب التي جاءت بها سورة المائدة العظيمة التي هي من أواخر السور نزولاً. وتبرز أهمية تناول هذا الجانب باعتبار أن غالب من تناول الحديث عن عالمية رسالة القرآن، جاء تركيزهم على السور المكية أكثر من المدنية، إذ أن السور المدنية وجهت خطاباتها ونداءاتها للمؤمنين. إلا أن الدراسة أوضحت أن سورة المائدة التي جمعت فروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي، جاءت بمقاصد عالمية تحقق الحفاظ على كرامة الإنسان وضمان عيشه في ظل أجواء السلام والاستقرار، تؤهلها لتكون من أبرز السور الدالة على عالمية الرسالة القرآنية. وقد وظفت الدراسة</p>
-------------------	--

<p>المنهج الاستقرائي التحليلي وسأقت العديد من الأمثلة التطبيقية الموضحة لعالمية التشريعات الواردة في سورة المائدة ومدى الحاجة الملحة إليها في الوقت الراهن. وتؤكد الدراسة ضرورة اهتمام الباحثين بإبراز جوانب عالمية الرسالة القرآنية من خلال تسليط الضوء على السور المدنية خاصة التي اهتمت بالتشريعات والأحكام والآداب.</p> <p>الكلمات المفتاحية: العالمية، القرآن، الخطاب، الشرعية، التعاليم.</p>	
--	--

## مقدمة

تعد عالمية خطاب القرآن من أعظم السمات والمبادئ التي أكدها القرآن وهي أصل من أصوله ومبدأ عظيم في الدعوة إليه في مختلف العصور وخاصة في الوقت الراهن. وقد حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالته خارج الجزيرة العربية من خلال رسائله للملوك والأمراء لعالمية دعوته. وقد نالت هذه القضية حظاً كبيراً من الاهتمام من قبل العلماء والمفكرين والباحثين عبر العصور، إلا أن الكثير منهم تناولوا الواردة في السور المكية لبيان أن عالمية القرآن مبدأ أصيل في الدعوة ولم يظهر نتيجة لتطور الجماعة الإسلامية بعد انتقالها إلى المدينة كما زعم بعض المستشرقين وغيرهم. من هنا تأتي هذه الورقة لتسليط الضوء على جانب آخر في عالمية رسالة القرآن من خلال التركيز على بعض آيات سورة المائدة المدنية التي هي من أواخر ما نزل على النبي عليه الصلاة والسلام. إذ أن التشريعات والأحكام التي وردت فيها - وإن كان النداء فيها بدأ بالذين آمنوا- إلا أن القيم والمقاصد التي قامت عليها عالمية.

وتدعو الدراسة الباحثين والمفكرين إلى الاهتمام بإبراز عالمية هذه التشريعات والأحكام وبيان حاجة العالم المعاصر إلى تبنيها وتطبيقها في ظل مختلف الظروف الراهنة. الأمر الذي يعد من أهم وسائل الدعوة المعاصرة.

## أولاً: عالمية الخطاب القرآني - التأصيل والتطبيق

تظهر حقيقة عالمية خطاب القرآن منذ نزوله للبشر، منبثقة من أصوله الأساسية. فقد نزلت أول سورة فيه (سورة العلق) توضح أصل خلقة الإنسان - بقطع النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه - كما يلحظ المتتبع لآيات القرآن الكريم ما يقارب ٦٥ آية ورد فيها لفظ (الإنسان) مخاطبة الجنس الإنساني، وليست خاصة بقوم أو شعب بعينه.

كما جاء الخطاب العالمي للناس بقوله جلّ شأنه: ﴿يا أيها الناس﴾ في عشرين موضعاً في كتاب الله الكريم. منها على سبيل المثال: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

تَتَّبِعُونَ ﴿ (القرآن. البقرة: ٢٢) وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (القرآن. البقرة: ١٦٨).

كما جاء الخطاب الصريح بقوله سبحانه: ﴿يا بني آدم﴾ في خمسة مواضع أخرى أربع منها في سورة الأعراف ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣١، والخامسة في سورة يس ٦٠، الأمر الذي يوضح عموم الخطاب القرآني للناس جميعاً.

ومن الآيات القرآنية الدالة على عالميته، قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (القرآن. الفرقان: ١) وقوله تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ (القرآن. الإسراء: ١٠٦).

وفي جميع هذه الآيات المذكورة وغيرها كثير جاء الخطاب عامًا في موضوعات عامة للناس تخصهم جميعاً. إلا أنه من الملاحظ أن الآيات التي جاء فيها النداء بيا (أيها الناس)، جاءت فيها الأمور عامة كعبادة الله والأكل الحلال وفي سياق الإعداد والتحذير من زلزلة الساعة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (القرآن. الحج: ١).

والتحذير من وعد الله والاعتزاز بالدنيا كما في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُوءُ﴾ (القرآن. فاطر: ٥). كما جاء تأكيد صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأنها إلى الناس جميعاً: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ (القرآن. الأعراف: ١٥٨). ولم يأت الخطاب بحكم شرعي أو تفاصيل تتعلق بالعبادات.

إلا أن هذه الدراسة تذهب إلى الآيات التي جاءت تقدّم علمية رسالة القرآن وتعاليمه ليس من خلال الخطاب الصريح الموجه مباشرة إلى الناس فحسب، وإنما من خلال التعاليم والخطابات التي كان النداء فيها إلى المؤمنين وفي سور قرآنية نزلت بالمدينة كسورة المائدة التي تقف الدراسة على عالمية الرسالة من خلال تعاليمها.

الأمر الذي يوضح أهمية هذه الدراسة ودعوة الباحثين إلى الاهتمام بعرض هذه التعاليم العالمية وإن كان النداء الوارد فيها للمؤمنين. ذلك أن العديد من هذه التعاليم هي من جملة ما تصلت البشرية إلى أهمية احترامه والعناية به عبر عصورها.

كما أن عالمية القرآن الكريم تقوم على أسس منها: أن آيات القرآن نزلت تخاطب جميع البشر ومن أجل ذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الرسل والكتب للملوك والأمراء يعرض عليهم تعاليم الإسلام. وقد ظهر ذلك جلياً تطبيق هذه العالمية للقرآن الكريم ونتج عن ذلك قيام حضارة إسلامية عظيمة، شارك في صناعتها مختلف شعوب العالم وأجناسه<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> رقية طه العلواني. ٢٠١٦. دراسات في الثقافة الإسلامية. (باللغة الإنجليزية). البحرين: مطبعة جامعة البحرين. ص ٢١٠.

كما أن من عالمية القرآن الكريم، تلك التشريعات الإسلامية سواء ما كان منها في مجال المعاملات أو العبادات. فقد جاءت تلك التشريعات تحقق الحق والعدل كما تتجلى فيها مقاصد الشريعة الإسلامية التي تحرص على تحقيق المصالح العامة للبشر.

ولا تنحصر أهمية عرض عالمية القرآن فيما سبق من أصول تتعلق برسائله الأصيلة ومبادئه الأولية بل تتعدى ذلك إلى الواقع الذي يعيشه العالم فيما يمكن أن طلق عليه ما بعد العولمة. ذلك الواقع الذي بات يفرض تقديم بديل حضاري للعالم لا يغفل إنسانية الإنسان وكرامته ولا يهمل روحه وعقله على حساب تلبية المطالب الجسدية<sup>٢</sup>.

وتعد تعاليم القرآن العظيمة النموذج الأمثل الذي يستطيع تقديم ذلك بتوازن وعملية متفردة. كما أن التاريخ زاخر بالنماذج العملية التي قدّمها القرآن واستوعب من خلالها ثقافات الشعوب والعالم بتسامحه وعدالته وقيمه العليا<sup>٣</sup>.

### ثانيا: سورة المائدة وعلاقتها بإبراز عالمية الرسالة القرآنية

سورة المائدة سورة مدنية، وهي أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحرير والأمر والنهي. وهي من أواخر ما نزل من القرآن، نزلت بعد سورة الفتح - أي بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة<sup>٤</sup>. وعلى هذا خلت السورة من الحديث عن القتال والمشركين ومكائدهم وغير ذلك من أشكال الصراع الذي كان دائراً قبل ذلك، ووقفت عليه السور السابقة لها. وركزت السورة في موضوعاتها على جوانب تشريعية دقيقة، وتضمنت السورة آخر ما نزل من القرآن تلك الآية الناطقة باكتمال التشريع وتمام النعمة بكمال هذا الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (القرآن.المائدة: ٣).

ومما يلفت النظر أن سورة المائدة تنفرد بجملة من الظواهر من أبرزها أنها لم تتحدث عن الشرك، ولا عن المشركين، على النحو الذي ألف في القرآن - من محاجتهم، وتسفيه أحلامهم، وتحقير شركائهم - وأنها لم تعرض، في قليل ولا في كثير، لما عهد في أكثر السور المدنية، التي نزلت قبلها، من الحث على القتال. من هنا فإن آيات سورة المائدة تشكّل الوصايا العظيمة التي حرص واهتم القرآن بتأكيدتها، وعلى رأسها؛ الوفاء بالمواثيق والعقود. من هنا عُرفت السورة بأنها سورة العقود والمواثيق. من هنا جاء الأمر بالوفاء بالعقود منذ أول آية فيها.

<sup>٢</sup> شوقي ضيف. ١٩٧٨. عالمية الإسلام. مصر: دار المعارف. ص ٣٥.

<sup>٣</sup> أنور الجندي. ١٩٨٤. عالمية الإسلام. مصر: دار المعارف. ص ٦٧.

<sup>٤</sup> البغوي، الحسين بن مسعود. ٢٠١٢. تفسير البغوي معالم التنزيل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج ٢. ص ٥.

والأمر بالعقد فيها يذكر الإنسان بالعقد الأول بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى. ذلك العقد الذي أصبح الإنسان بموجبه مؤهلاً للقيام بمهمة الخلافة على الأرض. كما أن الأمر بالوفاء بالعقود جاء بعد كافة الأوامر التي فرضها الله على عبادة في في السور قبلها - سورة النساء وآل عمران والبقرة وفي الفاتحة - رغم ما بينها من الفوارق الزمنية.

وحدث الإنسان المؤمن على الالتزام بالعقود والوفاء بها، من أهم القواعد في التعاملات المختلفة التي تجعل من هذا المبدأ القويم من أعظم ركائز عملية الرسالة القرآنية. فكل تلك الالتزامات إنما هي عقود يجب الوفاء بها<sup>٥</sup>.

من هنا جاء في بداية السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴾ (القرآن. المائدة: ١) وجاء في آخر السورة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (القرآن. المائدة: ١٢٠). فهذه الآية تبين أن كل شيء في هذا الكون سماء، أرض، أنعام، طيور، أشكال المنافع التي ينتفع بها الإنسان؛ ملك حقيقي لله سبحانه وتعالى لا يشاركه في ذلك الملك أحد على الإطلاق.

فقد سخر الله عز وجل ما في هذا الكون للإنسان للانتفاع به واستعماله فيما يصلح الأرض ويعمرها. فالله سبحانه وتعالى هياً للناس كافة وسائل الانتفاع بتلك الأشياء التي سخرها لهم وفق المنهج الذي أنزله لهم متمثلاً في القرآن الكريم.

فالمالك الحقيقي هو الله سبحانه وهو الذي له حق التشريع لإدارة هذا الكون وما فيه من منافع. فالله سبحانه أعطى للإنسان حق الانتفاع وفق المنهج الرباني ولذلك جاءت الآية: ﴿أَجَلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةٍ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (القرآن. المائدة: ١).

وآيات سورة المائدة تكلمت كثيراً عن الحكم بما أنزل الله باعتبار أنه سبحانه المالك الحقيقي للكون والإنسان وما فيه وهو من يحق له التشريع في التصرف في هذا الكون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (القرآن. المائدة: ٤١). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (القرآن. المائدة: ٤٧). لأن قضية الحكم والتشريع هي حق خالص للمالك وليس للمملوك العاجز.

وعلى الرغم من كثرة النداءات الموجهة ب: «يا أيها الذين آمنوا»، التي وردت في سورة المائدة ست عشرة مرة، إلا أن الغالب على هذه النداءات أنها جاءت في سياق الحديث عن العقود ومنها ما يكون بين الإنسان وبين الأرض والبيئة التي يعيش فيها وينتفع بها. فكل شيء في هذا الكون سماء، أرض، أنعام، طيور.

<sup>٥</sup> عبد المجيد النجار. ١٩٨٩. في فقه التدين فهماً وتزيلاً، كتاب الأمة. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

مع كافة أشكال المنافع التي ينتفع بها الإنسان، إنما هو ملك حقيقي صرف لله سبحانه وتعالى لا يشاركه في ذلك الملك أحد على الإطلاق.

وتأتي الآية الأولى في السورة ب: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» أمره بالوفاء بالعقود؛ لتشير إلى أن بين الخلق وبين المالك الحقيقي سبحانه؛ عقد انتفاع. ووفق هذا العقد، فإن المالك سبحانه وتعالى هو الذي يحق له وحده، وضع شروط الانتفاع والاستعمال لهذا الملك دون سواه. وهنا جاءت مناسبة ذلك لآخر آية في السورة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (القرآن. المائدة: ٢٠).

### ثالثاً: حماية البيئة وأثرها في عالمية الرسالة القرآنية

تعد سورة المائدة من السور التي تناولت موضوع البيئة بكل مكوناتها من طبيعة ومكان. وقد جاءت الآية الثانية في سورة المائدة ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ (القرآن. المائدة: ٢).

فالتعامل مع الأماكن والأراضي في تلك البقعة الطاهرة ذات المكانة الخاصة القدسية عند المسلمين يتم وفق نظام منضبط بقانون التسخير الذي جاء ذكره في كتاب الله عز وجل في أكثر من موضع: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (القرآن. الحجر: ١٩-٢١).

وما ذلك إلا جانب من جوانب المحافظة على التوازن في الكون الذي أكدته القرآن العظيم في أكثر من موضع. كل شيء في الكون خلق بتوازن وهذه من قدرة الله سبحانه وتعالى كل شيء فيه توازن، عدد ساعات الليل، عدد قطرات المطر، كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى بقدر وخلقه بشكل موزون وعنده خزائنه سبحانه في كل شيء. وقضية التوازن من أعظم المجالات التي يمكن من خلالها مخاطبة العالم وإبراز عالمية رسالة القرآن. فعلماء الكون الأخصائيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقطرة من أعشار الغرام والمليغرام، وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات<sup>٦</sup>.

فدور الإنسان المستخلف الذي جعله الله خليفة على هذه الأرض هو أن يسير ضمن ذلك التوازن، النظام المتوازن، يحافظ على التوازن في أثناء تعامله مع تلك الأشياء أو المسخرات سواء كانت زماناً أو مكاناً أو موجودات وكائنات.

فإن لم يسر ذلك الإنسان الخليفة وفق ما بيّنه الله سبحانه وتعالى له في المنهج في كتابه فإن الخلل سيحدث، ويبدأ النظام يضطرب، ويختل نظام التوازن، فإذا حدث ذلك حدثت عشرات الكوارث الطبيعية

<sup>٦</sup> محمد رشيد رضا. ١٩٤٧. تفسير المنار. بيروت: دار الكتب العلمية. ج ١. ص ١٧٦.

والإنسانية التي تحدث في زماننا هذا. من هنا فإن إبراز هذه العناصر في رسالة القرآن والتعاون مع الجهات المختصة بحماية البيئة والدراسات المتعلقة بالكون والحفاظ عليه، تعد من أبرز المجالات التي يمكن مخاطبة العالم من خلالها برسالة القرآن. كما أن حثّ الباحثين في مجالات الدراسات القرآنية على التكامل في إنشاء دراسات علمية يقوم بها أهل الاختصاص، للكشف عن أوجه التوازن وضوابطه من خلال تلمس ذلك واستنباطه من تعاليم القرآن، يمكن أن يسهم بشكل كبير في السير خطوات نحو تحقيق الهدف، مع التسليم بأن القرآن الكريم ليس كتاب علوم أرض أو غيرها إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة من الآيات الكريمة التي تناولت جوانب مختلفة لعرض هذا التوازن وتفعيله.

وما يشهده العالم من فوضى في هذه المجالات ما هي إلا أعراضاً لعدم السير وفق المنهج المتوازن والقواعد المنضبطة التي جاء بها في كتاب الله عز وجل.

ولعلّ واحدة من أعظم تلك القوانين والسنن الحاكمة في كتاب الله المنظمة للتوازن وتحقيقه؛ ما جاء في الآية الثانية من سورة المائدة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ (القرآن. المائدة: ٢) فالآية هنا ليست للحديث عن الاعتداء من قبيل تحريم أن يعين بعضهم بعضاً على العدوان فحسب كما أوضحه الرازي وغيره من المفسرين رحمهم الله بل هي من المفردات الأساسية الشمولية في السورة وفي كتاب الله عامة التي تنهى عن كل أشكال التجاوز التي تؤدي إلى الإخلال بالتوازن في أي صورة من الصور<sup>٧</sup>. ولذلك قال تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ» حتى البغض والكرهية التي قد تكون مبررة في بعض الأحيان «أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ليست بمسوغ للاعتداء والتجاوز.

فكل أشكال الانتفاع والتصرف في الحياة لا بد من التصرف فيها بالبر والخير وليس بالاعتداء والتجاوز. ويشمل ذلك مختلف أشكال التجاوزات المتعلقة بالبيئة النباتية والحيوانية وغيرها كثير.

فضابط هذا التعاون وشرطه، وهو أن يكون على أمر مشروع من خير وبر، لا على شيء ممنوع من فساد وشر. ومدار الأمر إنما هو على موضوع المشاركة والمعاونة لا إلى المتعاون معه.

فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرضٍ له، أوجب إلى ذلك كائنًا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبعوض لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس وهي أصل مرحلة الوفاء، وحتى لو اقتضى ذلك الأمر أن يكون حين يحدث اعتداء فلا بد لجماعة الإنسان أن يتعاونوا لأجل إعادة الأمور إلى نصابها من البر والتقوى<sup>٨</sup>، وألا يكون التعاون والتكتل والتجمع على الإثم والعدوان. ولذلك ما يحصل اليوم من تجاوزات ومن اعتداء على البيئة والموارد البشرية وعلى الأرض وعلى المسخّرات وعلى الحيوان وعلى الماء هذه لا بد أن يكون لأجلها تجمعات إنسانية حقيقية تأخذ على المعتدي

<sup>٧</sup> الرازي، فخر الدين. ١٩٨١. التفسير الكبير. بيروت: دار الفكر. ج ١١. ص ٢٣٤.

<sup>٨</sup> ابن قيم الجوزية. ٢٠٠٩. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج ١. ص ١٤-١٥.

الآثم لتضع الأمور في نصابها، ويبقى الجنس الإنساني وفيما بعقده والتزامه في الانتفاع بهذه المقدرات الموجودة في هذا الكون.

وهذه المسألة من الأمور ذات الأهمية الكبرى لدى كثيرين من عقلاء وقادة الأمم والشعوب المعاصرة؛ الذين أدركوا خطورة ما يتعرض له العالم من آثار التلوث وسوء استخدام الموارد الطبيعية والتعامل غير المتوازن مع الكون والبيئة مما يندر بكوارث عدة ليس أخطرها التغيرات المناخية القاسية. وقد عبرّ الأمير تشارلز قبل أعوام مضت عن طبيعة القلق المتزايد في الغرب بشأن تلك الأوضاع حيث قال:

"إن المادية المعاصرة أحدثت خللاً مروعاً في حياة الفرد والمجتمع لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضروري لحياة سوية متناسقة متكاملة. ولقد بدأنا نحن أبناء العالم الغربي نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلي بالكون والبيئة وبمسئوليتنا الشاملة إزاء الخلق. ويمكن لنا نحن أبناء الغرب من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ومهمتنا أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامي المشبع بالنظرة الكلية الأصيلة إلى الكون والإنسان، كما يمكن الاستفادة من هذا التراث في تحسين نظرتنا نحو الأفضل في الخلافة العلمية للإنسان.. ولا شك أن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية قد بلغ حداً مروعاً مفرغاً... (إلى أن يقول): إن رسالة الإسلام مهمة للغرب فهي أكثر تكاملاً وتوحيداً للعالم"<sup>9</sup>.  
ولعلّ هذه القضية الشائكة من أكثر القضايا التي تبرز فيها عالمية أحكام التشريع الإسلامي المودعة في سورة المائدة تحديداً اليوم. الأمر الذي يستدعي المزيد من الدراسات حول ذلك.

#### رابعاً: عالمية النداء في سورة المائدة وعلاقتها بعالمية الرسالة القرآنية

يلحظ المتدبر في سورة المائدة تعدد النداءات التي يوجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب، داعياً لهم إلى إقامة ما جاء فيها من إرساء لقيم العدل والرحمة وغيرها. الأمر الذي يؤكد أهمية إبراز هذه النداءات من قبل المسلمين وإيصالها بآليات ووسائل متنوعة.

يقول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (القرآن. المائدة: ١٥).  
وتدل مخاطبة القرآن لأهل الكتاب وتوجيه الخطاب المباشر لهم، على عالمية رسالة القرآن الذي لم يفرق بين قوم موسى وقوم عيسى فهو الرسالة التي ختم الله بها كل الرسالات السماوية.

<sup>9</sup> نقلاً عن يوسف الكتاني. الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية. من الموقع الإلكتروني: <https://alhiwartoday.net/node/5003>. شوهد بتاريخ ٦/٧/٢٠٢١م.



وحيث أن سورة المائدة من أواخر ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد حوت أواخر الوصايا التي وصى الله البشرية بها: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (القرآن. المائدة: ١٥). الأمر الذي يؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول الله، مبعوث إلى الناس كلهم عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم.

وهذا من خصائص الرسول الخاتم محمد - صلى الله عليه وسلم - أن الله بعثه للناس كافة، وليس لقومه خاصة كما كان الحال في الرسل السابقين. قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (القرآن. سبأ: ٢٥). وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (القرآن. الأعراف: ١٥٨). فالرسل لم يأتوا لتأجيج أسس الصراعات بين البشر بل بإرساء المحبة لا العداوة والبغضاء، والدعوة العرقية والدعوة العنصرية لا يمكن أن تؤدي إلا إلى البغضاء وإثارة العداوات بين البشر. من هنا توالى النداءات لأهل الكتاب في السورة العظيمة ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (القرآن. المائدة: ١٩).

فالقرآن يخاطب بآياته أهل الكتب ويخاطب المؤمنين به ليذكّرهم بدورهم في حمل رسالة القرآن العظيم إلى العالم من أهل الكتاب وغيرهم.

كما جاء في سورة المائدة العظيمة العديد من المواثيق العالمية التي جاء بها كل الرسل ونادت بها جميع الأديان التوحيدية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (القرآن. المائدة: ٣٥). وهذه الآية العظيمة بما فيها من عظات اجتماعية بالغة، فالنفس الواحدة تمثل النوع في جملته. ومستحلّ دمها مثل مستحلّ دم كل نفس أو جميع النفوس. وكذلك الأمر في احترام وحماية دم النفس الواحدة. وفيها تقرير لوحدة البشرية وإيجاب حرص كل إنسان على حياة المجموع واجتنابه ضرر كل فرد. وإيجاب التكافل والتضامن بين البشر في كل ذلك<sup>١٠</sup>.

فمن قتل نفسًا واحدة فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأن المسألة ليس مسألة عدد، بل مسألة اعتداء الإنسان على تلك الروح وحق الحياة الذي وهبه الله لإنسان آخر، فالذي وهب حق الحياة هو فقط سبحانه الذي يحدد كيف يؤخذ ذلك الحق، لا ينبغي لإنسان أن يعتدي عليه أبداً بغير نفس أو فساد في الأرض. فكل قطرة دم تسفك بغير حق فساد في الأرض، وفساد الأرض لا يعاني منه فقط القاتل، أبداً، يعاني منه جموع البشر وليس فقط القاتل.

<sup>١٠</sup> محمد عزة دروزة. التفسير الحديث. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ٢٠٠٠. ج ٩. ص ١١.

فأعظم الفساد قتل النفوس البريئة والاعتداء على البشرية، من هنا جاءت نهاية الآية: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (القرآن. المائدة: ٣٢).

فالكتب والرسالات والشرائع جاءت تؤكد هذه الحقيقة؛ حرمة القتل، وهي حقيقة لا تختلف بين شريعة موسى وشريعة محمد عليهم السلام ولا شريعة عيسى، كل الأنبياء جاءوا بهذه الشريعة: تحريم قتل النفس والاعتداء عليها: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. (القرآن. المائدة: ٦٨). فالأديان السماوية التي جاء بها الرسل لا بد أن تُقام تعاليمها في الواقع الإنساني. الأمر الذي سيحقق وقف الفساد والمفسدين في المجتمعات الإنسانية وتحقيق العدل والصلاح الذي هو غاية الإنسان.

من هنا جاءت الآيات بصورة مخالفة لتلك الصورة السلبية التي لا تقوم بدورها في وقف الفساد والمفسدين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (القرآن. المائدة: ٦٥-٦٦).

فوقف الفساد يكون بإقامة منهج الله سبحانه في الأرض المحقق لمعنى الحفاظ على أموال الناس وذلك من أعظم أسباب وعوامل الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي والاجتماعي والأخلاقي في كل المجتمعات البشرية. فالمنهج الإلهي يعصم البشرية من الفساد والانحرافات ويُردها إلى جادة الصواب وترك شريعة الأهواء والظلم.

وهنا يتضح البعد المقاصدي الذي يجعل من القرآن الكريم خطاباً يتعدى حدود الزمان والمكان والإنسان. فهذه القيم العالية التي وقفت الدراسة على بعض منها في سورة المائدة، قيم عالية ومبادئ سامية، لا يستطيع إنكارها أحد كالعدل وكرامة الإنسان والحريات البشرية وعمران الأرض وغيرها، مما أمرت به جميع الشرائع السماوية.

وما يمرّ به العالم من أزمات وكوارث يفرض استحضار أن البشرية عرفت حضارة إنسانية واحدة، صبت فيها شعوب وأمم وأقاليم الدنيا على طول التاريخ أفضل ما توصلت إليه من رقي وتقدم. كما أن الوظيفة الوجودية للإنسان في الأرض، هي القيام بمهام الاستخلاف الذي يحفظ التوازن الكوني، ويضمن استقرار الحياة لمن التزم بشروطها في فهمه وسلوكه وعمله ومواقفه، وحركته في الحياة. وعمارة الأرض واستغلالها والاعتقاد بأن الناس جميعاً شركاء في منتجات الطبيعة المباحة، تفرض عليهم التراحم والتعاون في العمل والنتاج (العطاء) بدون تخصيص، أو تمييز البشر في الجنس أو اللون أو العنصر... وهذه من أبرز الآليات التي يمكن تفعيلها لإيصال خطاب القرآن العالمي، الذي أبرزته آيات القرآن الكريم ومنها سورة المائدة.

## الخاتمة

تناولت هذه الورقة بعض الجوانب التي توضح عالمية رسالة القرآن الكريم التي هي مبدأ أصيل وقاعدة عظيمة منبثقة من أصول الرسالة التي جاء بها النبي الكريم للعالمين. ولئن ركزت العديد من الدراسات على عرض النداءات والآيات التي جاءت بصيغة مباشرة موجهة للنبي والعالمين، فإن هذه الورقة جاءت تركز على الآيات الواردة في سورة المائدة المدنية في نداءات بدئت بخطاب يا أيها الذين آمنوا. وقد أوضحت الدراسة أن سورة المائدة التي جمعت فروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي، جاءت بمقاصد علمية تحقق الحفاظ على كرامة الإنسان وضمان عيشه في ظل أجواء السلام والاستقرار، الأمر الذي يبين أن هذه السورة بآياتها التي هي من أواخر ما نزل على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، من أبرز السور الدالة على عالمية الرسالة القرآنية. وقد وظفت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي وسأقت العديد من الأمثلة التطبيقية الموضحة لعالمية التشريعات الواردة في سورة المائدة ومدى الحاجة الملحة إليها في الوقت الراهن. وتدعو الدراسة الباحثين إلى ضرورة اهتمام الباحثين بإبراز جوانب عالمية الرسالة القرآنية من خلال تسليط الضوء على السور المدنية خاصة التي اهتمت بالتشريعات والأحكام والآداب لإبراز القيم العالمية والمقاصد السامية التي دعت إليها هذه التشريعات من تناول الحلال الطيب إلى الحفاظ على البيئة إلى إقامة العدالة الاجتماعية وغيرها.

## المراجع

- البعوي، الحسين بن مسعود. ٢٠١٢. تفسير البعوي معالم التنزيل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.  
 الجندي، أنور. ١٩٨٤. عالمية الإسلام. مصر: دار المعارف.  
 الجوزية، ابن قيم. ٢٠٠٩. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة.  
 دروزة، محمد عزة. ٢٠٠٠. التفسير الحديث. بيروت: دار الغرب الإسلامي.  
 الرازي، فخر الدين. ١٩٨١. التفسير الكبير. بيروت: دار الفكر.  
 رضا، محمد رشيد. ١٩٤٧. تفسير المنار. بيروت: دار الكتب العلمية.  
 ضيف، شوقي. ١٩٧٨. عالمية الإسلام، مصر: دار المعارف.  
 العلواني، رقية طه. ٢٠١٦. دراسات في الثقافة الإسلامية (باللغة الإنجليزية)، البحرين: مطبعة جامعة البحرين  
 الكتاني، يوسف. الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية، من الموقع الإلكتروني: <https://alhiwartoday.net/node/5003> (شاهد بتاريخ ٦/٧/٢٠٢١م).  
 النجار، عبدالمجيد. ١٩٨٩. في فقه التدين فهمًا وتنزيلًا، كتاب الأمة. قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

## REFERENCES

- Alalwani, Ruqaiya Taha Alalwani. 2016. *Studies in Islamic Culture*. Bahrain: University of Bahrain Press.
- Al-Baghawiyy, Abu Muhammad Al-Husayn Ibn Mas'ud. 2012. *Tafsir Al-Baghawiyy Ma'alim Al-Tanzil*. Bayrut: Dar Ihya Al-Turath Al-'Arabiyy.
- Darwazah, Muhammad 'Izzat. 1998. *Al-Tafsir Al-Hadith*. Bayrut: Dar Al-Gharb Al-Islamiyy.
- Dayf, Shauqiyy. 1978. *'Alamiyat Al-Islam*. Misr: Dar Al-Ma'arif.
- Al-Jawziyyah, Ibn Qayyim. 2010. *Zadu Al-Ma'ad Fi Hady Khayr Al-'Ibad*. Bayrut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.
- Al-Jundiyy, Anwar. 1984. *'Alamiyat Al-Islam*. Misr: Dar Al-Ma'arif.
- Al-Kattaniyy, Yusuf. *Al-Hiwar Bayna Al-Muslimin Wa Al-Gharb Wa Afaquhi Al-Mustaqbaliyyah*. <https://alhiwartoday.net/node/5003> (Shuhida Bi Tarikh 6/7/2021)
- Al-Najjar, 'Abd Al-Majid. 1989. *Fi Fiqh Al-Tadayyun: Fahman Wa Tanzilan*. Qatar: Kuttab Al-Ummah.
- Prince Charles. 2010. *Islam and the Environment*. <https://www.princeofwales.gov.uk/speech/speech-hrh-prince-wales-titled-islam-and-environment-sheldonian-theatre-oxford> (Accessed on 7 March 2020).
- Al-Raziyy, Fakhr Al-Din Muhammad. 1995. *Al-Tafsir Al-Kabir*. Bayrut: Dar Al-Fikr.
- Rida, Muhammad Rashid. 1947. *Tafsir Al-Manar*. Bayrut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah.

## إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.